Die Grundlagen des 19 . Jahrhunderts » فى ١٩ شهراً ، ما بين أول إبريل سنة ١٨٩٧ وأكتوبر سنة ١٨٩٨ ، فى فينيا ونشره سنة ١٨٩٩ ، فكان أساس الفكر الألمانى المعادى للسامية ، ولعلنا نستطيع أن نتتبع العداء للسامية إلى أبعد من ذلك ، إلى مؤسس البروتستانتية مارتن لوثر ، فلقد كان هذا المفكر العظيم شديد العداء للسامية ، وشديد التأييد للدعوة للطاعة للسلطة السياسية ، وكان يريد « أن تتخلص ألمانيا من اليهود ، وأن يسلبوا من كل ثرواتهم قبل أن يطردوا ، وأن تحرق معابدهم ومدارسهم ، وأن تدمر منازلهم ، وأن يوضعوا فى الزرائب كالخنازير ، فى البؤس والأسر » .

* * *

الحل السوفيتى للمسألة اليهودية

ورأى الاتحاد السوفيتى فى ٢٨ مارس سنة ١٩٢٨ أن يخصص قطعة من الأرض يستعمرها اليهود السوفييت داخل حدود الاتحاد السوفيتى نفسه ، أى أنه حلّ المسألة اليهودية باستقلال اليهود داخل الدولة السوفيتية ، فاقطعهم منطقة بيرو - بيدجان ، على أمل أن يتجمع فيها يهود الاتحاد السوفيتى كله ، وأن يطوروها بحيث تتمتع بعد ذلك بالحكم الذاتى وتصبح جمهورية سوفيتية يهودية ، ووصف

كالينين اليهودى ، وعضو اللجنة العليا للاتحاد السوفيتى الغرض من الاستيطان فى بيرو بيدجان فقال « إن هؤلاء اليهود الذين تعد الثقافة القومية اليهودية شيئاً عزيزاً عليهم ، والذين يرغبون فى تطوير وحدة الدولة اليهودية كأساس تقوم عليه الثقافة اليهودية ، على شرط أن تكون ذات محتوى اشتراكى ، يجب أن يساعدوا فى بناء بيرو بيدجان[١] » .

وقال « إن يهود بيرو – بيدجان لن يكونوا قومية لهم صفات يهود مدن بولندا ، ولتوانيا إلخ ، إنما اليهود سيكونون مستعمرين اشتراكيين ، وسيكونون مجموعة قومية داخل قوميات الأسرة السوفيتية . وسيتحقق هذا طبعا على مر الزمن »[٢] .

* * *

بيرو بيدچان Biro Bidjan

منطقة ضخمة المساحة تزيد قليلا عن نصف مساحة بريطانيا وتقع فى أقصى المنطقة الشرقية من سيبيريا ، وتمتد من نهر « أمور » شمالا ، ويخترقها من الوسط خط سكة حديد سيبيريا ، ويحدها شرقا على بعد عدة أميال من مدينة خاباروفسك عاصمة أقصى المنطقة

(١) Jews in the U. S. S. R. P. 33

(٢) المرجع السابق ص ٣٤ .

الشرقية والتى تبعد عن فلاديفوستك بنحو ١٨ ساعة بالسكة الحديد . وعاصمة المنطقة هى مدينة **بيرو بيدجان** ، وكانت تسمى قديما « تيخون كاجا » ، وتمر بها كل القطارات السريعة بين فلاديفوستك وموسكو . وكانت المنطقة قبل أن تخصص لليهود يسكنها نحو ٣٠,٠٠٠ من جنسيات مختلفة .

وبوصول اليهود إليها أصبح عدد سكانها أربعة أضعاف . وتغطى النباتات أكثر من نصفها ، وهناك مساحات كبيرة من المراعى الغنية ، والمياه بها متوفرة ، ويستخرج منها الجرانيت والجرافيت والمغنسيوم والبازلت وأحجار البناء والكوارتز والحديد والفحم . والأرض خصبة للغاية وتنتج بوفرة الأرز والقمح والجزر وفول الصويا والحبوب . وقالت مجلة « جويش كرونيكل » البريطانية « إن سكان المنطقة ذاتية الحكم يزيدون باستمرار ، ويتدفق اليهود المهاجرون من كل أنحاء الاتحاد السوفيتى إليها، وخصوصا الشباب » .

ويعلق اليهودى [١] رينياب على ذلك فيقول [٢] : وهذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكن أن تُحل بها المسألة اليهودية فى الدول الغربية

(١) Anti-semitism and the Jewish Question by I. Rennap.

(٢) أ . رينياب عضو الحزب الشيوعى البريطانى : وهو يهودى ورأيه هنا يهمنا بوصفه وجهة نظر تأخذ بالماركسية من جهة ، وترى فى الحل السوفيتى حلا أمثل للأمانى القومية اليهودية .

التى بها جاليات يهودية ضخمة ، كالولايات المتحدة ، والتى يقدر يهودها طبقا للجويش كرونيكل بخمسة ملايين ونصف .

ومع ذلك حاربت الصيهونية الحل السوفيتى للمسألة اليهودية . فما رأى سارتر فى هذا ؟ وذهبت معارضة المؤتمر الصيهونى العالمى للحل السوفيتى إلى حد اتهامه بأنه يقضى على قومية اليهود !

ويرد « ريناب » اليهودى البريطانى على قرار الصهيونية العالمية فيقول : إن اليهودية ليست قالبا جامدا مطلقا لا يتغير . وينسى اليهود الصهاينة أن الثقافة اليهودية قد تناولها التغيير فى الماضى لتتناسب مع المراحل المختلفة من التطور التاريخى . ويستطرد فيقول : إن الثقافة اليهودية فى الاتحاد السوفيتى نوع من الثقافة أسمى فى رأى الصهاينة من اليهودية ذاتها ، مع أنها جزء لا يتجزأ من المجتمع الجديد » .

ويرى ريناب – وهذا هوالكلام العلمى – أن اضطهاد اليهودى ليس له مصدر إلا متناقضات المجتمع الرأسمالى والبورچوازى الأوروبى ، وليس إلا نوعا من الاضطهادات العديدة التى فى هذه المجتمعات . ولكن المجتمع الاشتراكى يقوم على أسس من التكافؤ والمساواة والاشتراكية ، ويلغى كل التناقضات والاضطهادات ومنها

اضطهاد اليهودى ، ومن ثم لا تعدو هناك مسألة يهودية فى المجتمع الاشتراكى . وواجب اليهودى أن يحول جهده لا إلى تأسيس وتدعيم دولة إسرائيل فى فلسطين عن طريق طرد الفلسطينين واضطهاد العرب ، بل الانضمام إلى الطبقات المضطهدة الأخرى فى مجتمعات كل العالم وخلق جبهة اشتراكية قوية ضد الرأسمالية والإمبريالية والبورجوازية ، وهى النظم التى تقوم على الاضطهاد وتقسيم الطبقات والاستغلال .

* * *

الحل الصهيونى للمسألة اليهودية

تقوم الحركة الصهيونية على فكرة إنشاء وطن قومى ليهود العالم فى فلسطين كحل للمسألة اليهودية . وتقول الحركة الصهيونية إن اليهود خارج إسرائيل سيظلون أغرابا وسيبقون مهددين بالاضطهاد حتى تكون لهم دولة . وتدعى الحركة الصهيونية أن فلسطين هى الأرض الطبيعية التى يمكن أن تقوم عليها دولة يهودية لعلاقاتهم التاريخية [١] بها . ويدّعى بعض الصهاينة أنهم اشتراكيون ، بل تدعى حركة داخل إسرائيل أنها حركة وحزب اشتراكى عمالى ، واشتركت

(١) The Jewish State : Herzel, Theodore. Newyork, Maccabean Publishing Company 1904 .

إسرائيل بحزبها الاشتراكى العمالى فى الحركة الاشتراكية الدولية وفى المؤتمر الليبرالى ، وتدّعى الحركة الصهيونية أن بها حركة شيوعية وحزباً شيوعياً . ولكن الاشتراكيين الإسرائيليين يرون أن تحقيق الاشتراكية الحقيقية أمر مرهون بالمستقبل البعيد ، وأما الآن فالشئ العاجل هو بناء الوطن القومى اليهودى . ويصف ريناب ، فى المرجع السابق ، الحركة الصهيونية [1] فيقول : إنها لا يمكن أن تندرج ضمن المعانى التى تتوارد بلفظة صهيون التى فى الطقوس الدينية اليهودية ، لأن الصهيونية بمعناها الحالى شكل حديث للجيتو القديم .

ويقول ريناب : إن اليهود كانوا فى كل مكان يعتنقون وينضمون للحركات التحررية ، لأنها كانت تفيدهم ، فالثورة الفرنسية أفادتهم ،

---

(١) الحركة الصهيونية نسبةإلى صهيون ، وصهيون بالاسم رابية فى أورشليم ، والاسم كنعانى وليس عبريا ، وبنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس فى القرن الحادى عشر ق . م . فوق رابية صهيون ، وصارت كلمة صهيون مع الزمن تعنى الحكومة الدينية اليهودية . وقبل قيام الحركة الصهيونية قامت منظمة فى الروسيا اسمها عشاق صهيون يرجع إليها سبب تسمية الحركة الصهيونية من بعد ، وكان لها فروع خارج روسيا ، وانتمى إليها يهود بارزون مثل والد وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل ، وكيش ، وبن جوريون ، وبنيتويش ، وسوكولوف صاحب كتاب تاريخ الصهاينة . وكانت عشاق صهيون أول منظمة ترسل رواداً يهودا لاستعمارفلسطين ، وهى التى اغتالت القيصر إسكندر الثانى فى ١٣ مارس سنة ١٨٨١ (الحفنى) .

والليبرالية أفادتهم ، ووطنية البورجوازية الجديدة أفادتهم ، وسرعان ما قامت بين اليهود حركة أطلقوا عليها اسم هاسكالا haskalah أى التنوير ، قامت فى بولندا ولتوانيا وألمانيا والروسيا ، وهدفت إلى نشر التعليم العلمانى والثقافة اليهودية القديمة على ضوء الثورة العلمية والعقلية ، وأدخلوا الأدب والفلسفة الأوروبيين فى الحياة اليهودية ، ودرس المثقفون اليهود اللغة الألمانية ، وقرأوا جوتة [1] وكنط وفشته وشيللنج وغيرهم من فلاسفة الحركة الإنسانية البورجوازية وترجموهم إلى العبرية .

---

(١) جوته Goethe شاعر ألمانى (١٧٩٤ - ١٨٣٢) ، بل من أكبر شعراء ألمانيا قاطبة ، وأثره على الفكر الألمانى والإنسانى أكبر من أثر شكسبير ، حرر اللغة الألمانية من الجفاف ، وألهم شعره الموسيقيين ، واشتهر بتحفته « فاوست » فى المسرح « وآلام فرتر » و « فيلهلم ميستر » فى الرواية وقاد المسرح والفكر والأدب الألمانى مع هيردر وشيللر . أما « كنط Kant » (١٧٢٤ - ١٨٠٤) فهو الفيلسوف الألمانى مؤلف نقد العقل الخالص ونقد العقل العلمى ، مثالى النزعة ويرى أن الأشياء لا توجد كظواهر ولكنها توجد كأشكال يعيها الحس ، ويؤمن بالحرية وبالله . وفشته Fichte (١٧٦٢ - ١٨١٤) فيلسوف ألمانى تلميذ كنط وأستاذ شيللنج ، يختلف مذهبه عن مذهب كنط فلقد صار مثاليا مطلقا ولا وجود عنده للواقع إلا وجود الأنا . وشيللنج Schelling فيلسوف ألمانى(١٧٧٥ - ١٧٥٤) له تأثيره الضخم على الفلسفة الألمانية ، وهو يتبع فشته ويرفض الواقع إلا الأنا المطلق الذى يعبر عن ذاته فى العالم . (الحفنى)

ثم ظهرت حركة تسمى **الصهيونية الاشتراكية** ، مؤداها أنه فى دولة يهودية فقط ، تنميها الرأسمالية اليهودية ، يمكن أن تنهض بروليتاريا يهودية تناضل من أجل الاشتراكية إلى جانب عمال العالم ، وإذن فينبغى أن يعمل الاشتراكيون اليهود وغير اليهود على تكوين الدولة اليهودية أولا حيث يتعاون فيها الرأسماليون والعمال . ويصف لينين هذه الحركات التحريفية بأنها حركات انتهازية تستغل الحركة الاشتراكية لمصلحتها القومية . ويقوم الحزب العمالى الاشتراكى الإسرائيلى على هذا الأساس الفكرى ، ويشارك بهذه الانتهازية فى الحركة الاشتراكيةالدولية . وهؤلاء الاشتراكيون الإسرائيليون رغم ادعائهم احتقار البورجوازية إلا أنهم يهدفون إلى نفس غاياتها وهى دعم الصيهونية ، ولكنهم يتخذون لأنفسهم طريق الاشتراكية أو ادعاء الاشتراكية ، رغم علمهم وعلم الحركة الاشتراكية الدولية أن الصهيونية تتعارض شكلا وموضوعا مع الاشتراكية . ولقد اختار بوروشوف **زعيم الحركة الصهيونية العمالية** Labour Zionism فلسطين لتقوم عليها الدولة اليهودية ، ولم يستطع أن يعطى سبباً لاختياره ، وأعلن مع ذلك أنه اشتراكى .

ولقد تجاهلت الحركة الاشتراكية الصهيونية أن أرض فلسطين عربية ، وأن فلسطين رغم احتلال تركيا لها فقد كان لشعبها العربى

أمانيه فى الاستقلال ، وكانوا قد بدأوا يطلبونه منذ أربعينات القرن التاسع عشر ، وعندما احتج بعض المفكرين الاشتراكيين بأن فلسطين يسكنها شعب عربى لم يبال بوروشوف ووصفهم بالبدائية ، ثم انثنى يقول إن العرب يمكن أن يندمجوا فى الدولة اليهودية . طبعا دعوة لطيفة من إنسان يقال إنه ناضل ضد اندماج اليهود فى الشعوب الأخرى ، لكن ربما كان العرب مختلفين ، وما هو غير مقبول لدى الإسرائيلين يصبح مقبولا لدى العرب !!!

* * *

الصهيونية والتحالف الإمبريالى

ارتبطت الصهيونية بالرأسمالية العالمية ، فكان للشركات الاحتكارية الكبرى فى العالم فروع لها فى إسرائيل منذ قيامها ، وحتى قبل قيام إسرائيل ، وكانت لهذه الشركات الكبرى مجالس إدارة من الرأسماليين من اليهود ، كشركة الصناعات الكيماوية البريطانية كاديراس وشركاه ، وشركة ماركس وسبنسر ، وشركة بوتاس فلسطين ، وكان على هذه الشركات يهود متعصبون ، مثل بارون ملك صناعة الطباق والدخان ، وهارى ساكر مدير ماركس وسبنسر ، وسيمون ماركس رئيس مجلس إدارتها ، وا . م سييف وزوجته ربيكا

سييف ، وكلهم رأسماليون بريطانيون يهود .

أما الرأسمالية اليهودية الأمريكية فكانت تمثلها شركة تأمينات برودينشيال أند صن لايف أشورينس ، ولها استثماراتها فى قروض البناء فى فلسطين بلغت ١,٧٥٠,٠٠٩ جنيه استرلينى حتى نهاية سنة ١٩٣٥ ، وقدم بنك لويدز وبنك باركليز قروضا ضخمة لصالح المؤسسات اليهودية التى تقوم بشراء الأراضى من العرب . وأعلنت الحركة الصهيونية أكثر من مرة أنها تستخدم الإمبريالية البريطانية لخدمة مصالح الصهيونية وأهدافها ، ووضح هذا الاستخدام بشكل سافر فى « **الورقة البيضاء** The White Paper » التى نشرت سنة ١٩٣٩ ، تحت ضغط التهديد بانتشار الفكر الفاشى فى العالم العربى ، كرد فعل للاستعمار البريطانى ، ونددت الورقة البيضاء بإعلان بلفور ولكنها اعتبرت أن لليهود الأقلية فى فلسطين حقوقا ، وجاء تعبيرها عن ذلك هكذا « **حقوق الأقلية اليسوف** » ، واليسوف هم الأقلية اليهود ، ومعنى ذلك أن بريطانيا ، بعد أن ساعدت اليهود طوال هذه المدة ، ومن الحرب العالمية الأولى حتى بداية اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وخوفا من انتشار الفاشية فى العالم العربى ، تراجعت ووعدت بأن يظل اليهود فى فلسطين أقلية ، وبذلك وجهت ضربة شديدة إلى حلم الحركة الصهيونية فى إقامة حكومة

إسرائيلية ذات أغلبية يهودية مطلقة فى فلسطين .

وكان هناك نحو ٦٠,٠٠٠ يهودى فى فلسطين سنة ١٩١٤ ، بينما كان عدد السكان العرب ٥٠٠,٠٠٠ ، وفى ظل الاحتلال البريطانى صار عدد اليهود ٥٠٠,٠٠٠ والعرب مليونا، وفى سنة ١٩٣٢ دخل فلسطين ٢٠٠,٠٠٠ يهودى ، وبلغت الاستثمارات البريطانية والأمريكية سنة ١٩٣٦ ثلاثين مليونا من الجنيهات ، ثم ١٠٥ مليونا حتى سنة ١٩٤٠ [١] واستولت على امتيازات استغلال الملح من البحر الميت والبوتاس ، ومشروعات توليد الكهرباء من مياه الأردن ، والأسمنت وبلغت مشتريات الصندوق القومى اليهودى من الأراضى الزراعية العربية حداً مذهلا ، ففى المدة من سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٢٩ بلغت ثلاثة ملايين من الجنيهات ثمناً لعدد ١٧٥,٠٠٠ دونم ، وفى المدة من سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٣٥ بلغت ٤,٥٣١,٠٠٠ جنيه ثمناً لعدد ٥٠,٠٠٠ دونم . وكانت معظم هذه الأراضى فى المناطق الخصبة ، وعمل الهستدروت [٢] على اتباع سياسة التفرقة بين اليهود والعرب فى

---

(١) ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٠ Jewish Chronicle

(٢) الهستدروت : الحركة العمالية اليهودية ، وهى حركة نقابية تعاونية نوه عنها العلامة هارولدلاسكى و هـ . ج . كول ، ولكنهما فى الحقيقة لم يتعمقاها لأنها حركة استعمارية روحا ، « والأهداف النقابية ليست هى الأصل الذى تسعى إليه ، ومن ثم دعوى إشتراكيتها قائمة على أساس المغالطة » .

المصانع والمزارع بالإضافة إلى عملية الإفقار المستمرة للمؤسسات العربية ، وعدم قدرتها على منافسة المؤسسات اليهودية ، ومزاحمة العمالة اليهودية للعمالة العربية ، والحرف والمهن اليهودية للحرف العربية ، وتسبب هذا كله فى إيجاد روح من المرارة بين السكان العرب ، وقامت حركة القومية العربية بتزعم الإضراب العام المشهور سنة ١٩٣٦ ضد اليهود وبريطانيا ، وعندئذ بدأ العالم الغربى والحركة الصهيونية نفسها يفيقان على الخطأ الذى ارتكباه بتجاهلهما للعرب سكان فلسطين الأصليين ، الذين قويت مطالبتهم لبريطانيا بالاستقلال . وهكذا صارت فى فلسطين حركتان : الحركة الصيهونية الإمبريالية وتحالفها الطبيعى مع الاستعمار البريطانى والمصالح الغربية ، والحركة القومية العربية باتجاهها المستقل ، ومن ثم كانت حتمية تعارض وتناقض الحركتين من أول ظهورهما .

وكان اتجاه القومية العربية الطبيعى إلى السعى والتحالف مع الحركة الاشتراكية العالمية ، واتجاه الحركة الصهيونية إلى الارتباط بالإمبريالية العالمية المحدثة ، وهى الإمبريالية الأمريكية ، ووضح ذلك بشكل سافر فى العدوان الإسرائيلى سنة ١٩٦٧ .

وكان أمام الصهيونية من أول الأمر إما مصالحة العرب والتوافق معهم ، وعندئذ يكون مطلبها هو مطلب العرب : الاستقلال ومعاداة

الإمبريالية ، وإما مشاركة الإمبريالية فى مصالحها وأطماعها . وكانت أمام الهستدروت فرصة نادرة ، وهى طريق النضال ضد الرأسمالية ، ولكنها **أولا** جعلت المبدأ النقابى الذى يضع كل العمال على قدم المساواة بصرف النظر عن الدين أو القومية فى مركز ثانوى ، وأعلت عليه مبدأ القومية الصهيونية ، وهى **ثانيا** اختارت جانب أصحاب الأعمال والإمبريالية البريطانية على جانب الاتجاهات الاشتراكية . ويفضح مؤسسها « **بن جوريون** » أهدافها فيقول: «إنى أنتمى إلى هذا الصهيونى الذى يدعو إلى أكبر قدر من السلطة الصهيونية ، سلطة غير محدودة لا يعوقها عائق ، بمعنى أن يسيطر التشريع القومى على العمل اليهودى ، وأن يسيطر التشريع القومى على رأس المال اليهودى ، وأن يسيطر التشريع القومى على وجود الشعب اليهودى ..هذه السلطة القومية التى أطالب بها هى ما أسميه الاشتراكية » .

هذا هو مفهوم **الاشتراكية** عند بن جوريون ، وهو نفس مفهوم الحزب القومى الاشتراكى الألمانى (النازى) ، فالحركة الاشتراكية الإسرائيلية حركة نازية نصاً وروحاً ، والهستدروت لكى تحقق قيام الوطن القومى مارست التفرقة العنصرية وأبعدت العرب عن المؤسسات

اليهودية حتى يمكنها أن تستوعب المهاجرين اليهود الجدد ، ولكن العمال العرب كانوا أرخص فى أجورهم بدرجة مذهلة ، وكان رأس المال اليهودى ، بحكم جوهره كرأسمال يؤثر الأجور المنخفضة ، فاضطرت الهستدروت إلى خفض مستوى أجور العمال اليهود لينافسوا العمال العرب ، ولكنها من ناحية أخرى عوّضت العمال اليهود باشتراكات من صناديق تمولها الهستدروت نفسها . وحرّمت إسرائيل الأحزاب بحكم القانون . وعملت على تشغيل اليهود دون العرب فى المشروعات اليهودية ، وهو مبدأ يؤدى بالعرب وإسرائيل إلى البطالة ، وإلى احتراف المهن البسيطة ، وزادت الشقة بين الحركة العمالية العربية فى إسرائيل والحركة العمالية اليهودية لمعاداة الأولى أساسا للاستعمار والإمبريالية ، وارتباط الهستدروت برأس المال اليهودى الأمريكى والبريطانى .

وإذاً فالصهيونية لم تحل المسألة اليهودية نفسها ، ناهيك عن حلّها فى الأوساط الغربية حيث يعيش ١٦ مليونا من اليهود خارجها ، وكل ما فعلته الصهيونية هو أنها مدّت نطاق المشكلة اليهودية لتشمل اليهود الذين كانوا فى فلسطين ، والذين وفدوا إليها بعد قيام إسرائيل ، وخلقت دولة جديدة زرعتها زرعا فى الشرق الأوسط لتستخدمها

الإمبريالية ضد حركة القومية العربية والحركات الاشتراكية فى العالم العربى.

* * *

الماركسية والصهيونية

فى مقدمة كتاب [1] « العداء للسامية والمسألة اليهودية » الذى أسلفنا الإشارة إليه من تأليف ا . ريناب يقدم وليام جلاشر ، وهو يهودى بريطانى ماركسى ، للكتاب فيقول إن العداء للسامية ليس له مصدر إلا متناقضات المجتمع الرأسمالى أو البورجوازى ، وهو ليس إلا نوعا من الاضطهادات العديدة التى فى هذه المجتمعات .

ولكن المجتمع الاشتراكى يلغى الاضطهادات ويقيم أسسه على التكافؤ والمساواة والاشتراكية ، وهو يهدم كافة التناقضات والاضطهادات ، ومنها اضطهاد اليهود ، ومن ثم فليست هناك مسألة يهودية فى المجتمع الاشتراكى .

ويرى جالاشر أن اليهودى ينبغى أن يحول جهده لا إلى تأسيس دولة فى فلسطين وطرد أهلها العرب منها واضطهادهم فيها ، بل إلى

(١) " Anti - semitism and the Jewish Question" by I. Rennab.